غزوة حنين

فلما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية، فاجتمع إليه قومه: بنو نصر وبنو جشم وبنو سعد بن بكر، وثقيف، وطائفة من بني هلال ابن عامر. ولم يشهدها من قيس غير هؤلاء. وغابت عن ذلك عقيل، وقشير ابنا كعب بن ربيعة بن عامر. وبنو كلاب بن ربيعة بن عامر وسائر إخوتهم، فلم يحضره من كعب وقشير وكلاب أحد يذكر. وحملت بنو جشم مع أنفسهم شيخهم وكبيرهم: دريد بن الصمة، وهو يومئذ شيخ كبير لا ينتفع به في غير رأيه، حملوه في هودج لضعف جسمه. وكان في ثقيف سيدان لهم في الأحلاف أحدهما قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، والآخر ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك. وكانت الرياسة في جميع العسكر إلى مالك ابن عوف النصري، فحشد من ذكرنا، وساق مع الكفار أموالهم، وماشيتهم ونساءهم وأولادهم، وزعم أن ذلك لتحمى به نفوسهم وتشتد في القتال عن ذلك شوكتهم.

ونزلوا بأوطاس(١)، فقال لهم دريد بن الصمة: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويُعَار الشاء؟(٢) قالوا: ساق مالك مع الناس أموالهم وعيالهم قال: أين مالك ؟ قيل: هذا مالك، ودعى له، فسأله: لم فعلت ذلك ؟ فقال مالك: ليقاتلوا عن أهليهم وأموالهم فقال دريد: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال دريد: غاب الحد(٣) والجد، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كلاب وكعب، فمن شهدها من بني عامر ؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة(٤) هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليا قومهم، ثم الق الصباة(٥) على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن.

(٢) يعار الشاء: صوتها.

(٣) الحد: المضاء في الأمر.

(٤) بيضة هوازن: أصلهم وجماعتهم.

(٥) الصباة: جمع صابئ، وكان الكفار ينعتون المسلمين بأنهم صباة، خرجوا على دين آبائهم.

ومالك. فأبى ذلك مالك وخالفت هوازن دريداً واتبعوه، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يغب عني:

يا ليتني فيها جذع أخبّ فيها وأضع

وبعث إليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عشاء، فأتى بعد أن عرف مذاهبهم وأخبر رسول الله ﷺ بما شاهده منهم.

فعزم رسول الله ﷺ على قصدهم، واستعار من صفوان بن أمية بن خلف الجمحي دروعاً، قيل: مائة درع، وقيل: أربعمائة. وخرج النبي عليه السلام في اثني عشر ألفاً من المسلمين، منهم عشرة آلاف صحبوه من المدينة، وألفان من مسلمة الفتح، إلى ما انضاف إليه من الأعراب: من سليم وبني كلاب وعبس وذبيان واستعمل على مكة عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية. ونهض ﷺ في مقدمته مزينة، وفي الميمنة بنو أسد، وفي الميسرة بنو سليم وعبس وذبيان. وفي مخرجه هذا رأى جهال الأعراب شجرة خضراء، وكان لهم في الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات أنواط [١] يخرج إليها الكفار يوماً معلوماً في السنة يعظمونها، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال عليه السلام: «**الله أكبر، والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» [٢].

ثم نهض رسول الله ﷺ، حتى أتى وادي حنين وهو واد من أودية تهامة، وكانت هوازن قد كمنت في جنبتي الوادي، وذلك في غبش الصبح، فحملت على المسلمين حملة رجل واحد، فانهزم جمهور المسلمين، ولم يلو أحد على أحد. وثبت مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه جعفر، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد وهو أيمن ابن أم أيمن قتل يومئذ بحنين، والفضل بن العباس. وقيل في موضع جعفر بن أبي سفيان قثم بن العباس. ولم ينهزم رسول الله ﷺ

---

[١] هي شجرة خضراء كانت تقدسها قريش وغيرها من العرب، وكانوا يخرجون إليها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما، وإنما قالوا للرسول ذلك حين مروا على شجرة نبق خضراء عظيمة.

[٢] السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ١١٠)، والبداية والنهاية (٤ / ٣٢٥).

ورواه أحمد (٢١٩٤٧)، والترمذي (٢١٨٠)، وابن حبان (٦٧٠٢)، وأبو داود الطيالسي (١٣٤٦)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٤٠٨).

ولا أحد من هؤلاء. وكان رسول الله ﷺ على بغلته الشهباء واسمها دلدل والعباس آخذ بحكمتها، ورسول الله ﷺ يقول: **«أيها الناس، إلى أين أيها الناس ؟! أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله»**. وأمر العباس وكان جهير الصوت أن ينادي: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة، وبعضهم يرويه: يا أصحاب السمرة. وقد قيل: إنه نادى يومئذ: يا معشر المهاجرين، كما نادى: يا معشر الأنصار. فلما سمعوا الصوت أجابوا: لبيك، لبيك. وكانت الدعوة أولاً: يا للأنصار، ثم خصصت بأخرة: يا للخزرج. قال ابن شهاب: وكانوا أصبر عند الحروب. فلما ذهبوا ليرجعوا كان الرجل منهم لا يستطيع أن ينفذ ببعيره لكثرة الأعراب المنهزمين، فكان يأخذ درعه فيلبسها، ويأخذ سيفه ومجنه، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويكر راجعاً إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع حواليه ﷺ مائة رجل أو نحوهم استقبلوا هوازن بالضرب.

واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد، فقام رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم[1]، فقال: **«الآن حمي الوطيس»**. وضرب علي بن أبي طالب عرقوب جمل صاحب الراية أو فرسه فصرعه، ولحق به رجل من الأنصار، فاشتركا في قتله. وأخذ علي الراية، وقذف الله عز وجل في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى رسول الله ﷺ ، وذلك أن رسول الله ﷺ إذ واجههم وواجهوه صاح بهم صيحة ورمى في وجوههم بالحصا، فلم يملكوا أنفسهم، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] . وروينا من وجوه عن بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حنيناً قال: وقد سئل عن يوم حنين: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم واتبعناهم حتى وصلنا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء، فلما رآنا زجرنا زجرة وانتهرنا، وأخذ بكفه حصاً أو تراباً، فرمانا به، وقال: شاهت الوجوه شاهت الوجوه فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك. فما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا.

وما استوفى رجوع المسلمين إلى رسول الله ﷺ إلا وأسرى هوازن بين يديه، وثبتت أم سليم في جملة من ثبت أول الأمر محتزمةً ممسكة بعيراً لأبي طلحة وفي يدها خنجر. وانهزمت هوازن، وملك العيال والأموال، واستحر القتل في بني مالك من ثقيف فقتل منهم خاصة يومئذ سبعون رجلاً منهم رئيساهم: ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة، ولم يقتل من الأحلاف إلا رجلان، لأن قارب بن الأسود وكان سيدهم يومئذ فر

(١) مجتلد القوم: مكان جلادهم وعراكهم.

بهم حين اشتد أول القتال. واستحر القتل في بني نصر بن معاوية. وهرب مالك بن عوف النصري في جماعة من قومه، ودخل الطائف مع ثقيف. وانحازت طوائف من هوازن إلى أوطاس. وأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي من بني سليم دريد بن الصمة، فقتله، وقد قيل: إن قاتل دريد هو عبد الله بن قنيع بن أهبان من بني سليم، وقد قيل: إن دريداً أسر يومئذ وأمر رسول الله ﷺ بقتله لمشاهدته الحرب وموضع رأيه فيها. ولما انقضى الصدام نادى منادي رسول الله ﷺ : «**من قتل قتيلاً عليه بينة، فله سلبه**».

وبعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري واسمه عبيد وهو عم أبي موسى الأشعري في طائفة من المسلمين منهم أبو موسى إلى من اجتمع من هوازن بأوطاس. فشد على أبي عامر أحد بني دريد بن الصمة فقتله، قيل: رماه سلمة بن دريد بن الصمة بسهم فقتله. وأخذ أبو موسى الراية، وشد على قاتل عمه فقتله. وقيل: بل رمى أبا عامر رجلان من بني جشم، وهما: العلاء وأوفى ابنا الحارث، أصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته، ثم قتلهما أبو موسى، وقيل: بل قتل أبو عامر تسعة إخوة من المشركين مبارزة، يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ثم يحمل عليه فيقتله، ثم حمل عليه عاشرهم فقتله. ثم أسلم ذلك العاشر بعد ذلك.

تسمية من استشهد من المسلمين يوم حنين

واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة رجال: أيمن بن عبيد، وهو أيمن ابن أم أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه. ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، جمح به فرسه، فقتل. وسراقة بن الحارث بن عدي من بني العجلان من الأنصار. وأبو عامر الأشعري.

وكانت وقعة هوازن وهي يوم حنين في أول شوال من السنة الثامنة من الهجرة وترك رسول الله ﷺ قسم الغنائم من الأموال والنساء والذراري، فلم يقسمها حتى أتى الطائف.

غزوة الطائف

وكان منصرف رسول الله ﷺ من حنين إلى الطائف، لم يرجع إلى مكة ولا عرج على شيء إلا غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حنين وقبل كل شيء. فسلك رسول الله ﷺ على الجعرانة في طريقه إلى الطائف ثم أخذ على قرن وابتنى في طريقه ذلك مسجداً وصلى فيه، وأقاد في ذلك المكان بدم وهو أول دم أقيد به في الإسلام من رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به، ووجد في طريقه ذلك حصناً لمالك بن عوف النصري فهدمه، ووجد هنالك أطماً قد تمنع فيه رجل من ثقيف في ماله، فأمر بهدمه. ولم يشهد غزوة حنين ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة الثقفيان، كانا قد خرجا يتعلمان صناعة المنجنيق والدبابات(١).

ثم نزل عليه السلام بقرب الطائف بواد يقال له: العقيق، فتحصنت ثقيف وحاربهم المسلمون، وحصن ثقيف لا حصن مثله في حصون العرب. فأصيب من المسلمين رجال بالنبل، فزال النبي عليه السلام من ذلك المنزل إلى موضع المسجد المعروف اليوم. فحاصرهم عليه السلام بضعاً وعشرين ليلة، وقيل: بل بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين يوماً. وكان معه عليه السلام امرأتان من نسائه، أم سلمة إحداهما، فموضع المسجد اليوم بين منزلهما يومئذ. وتولى بنيان ذلك المسجد عمرو بن أمية بن وهب بن معتب الثقفي. وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب الطائف إلا قطعة عنب كانت للأسود بن مسعود أو لابنه في ماله، وكانت تبعد عن الطائف وسأله الكف عنها فكف عنها.

وكان بجير بن زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر ابن الشاعر شهد حنيناً والطائف وكان حسن الإسلام.

تسمية من استشهد من المسلمين في حصار الطائف

واستشهد من المسلمين في حصار الطائف: سعيد بن سعيد بن العاصي بن أمية، وعُرفطة بن جناب الأزدي حليف لبني أمية، وعبد الله بن أبي بكر الصديق أصابه سهم فاستمر منه مريضاً حتى مات منه في خلافة أبيه، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخو أم سلمة، وعبد الله الأكبر بن عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، والسائب بن

(١) الدبابات: آلات حرب كانوا يصنعونها من خشب، ويدخل فيها الرجال لينقبوا منها الأسوار المحصنة.

الحارث بن قيس السهمي، وأخوه عبد الله بن الحارث بن قيس السهمي، وجليحة بن عبد الله الليثي من بني سعد بن ليث، وثابت بن الجذع الأنصاري من بني سلمة، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة الأنصاري من بني مازن بن النجار، والمنذر بن عبد الله الأنصاري من بني ساعدة. ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة.

باب في قسمة غنائم حنين وما جرى فيها

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى الجعرانة: موضع قريب من حنين. وكان قد استأنى بقسمة الغنائم رجاء أن يسلموا ويرجعوا إليه، فلما قسمت الغنائم هنالك أتاه وفد هوازن مسلمين راغبين في العطف عليهم والإحسان إليهم، فقال لهم: «**قد كنت استأنيت بكم وقد وقعت المقاسم، وعندي ما ترون فاختاروا: إما ذراريكم ونساؤكم وإما أموالكم**»، فاختاروا العيال والذرية وقالوا: لا نعدل بالأنساب شيئاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إذا صليت الظهر فتكلموا واطلبوا حتى أكلم الناس في أمركم**». فلما صلى الظهر تكلموا، وقالوا: نستشفع برسول الله ﷺ على المسلمين. فقال النبي عليه السلام: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب وبني هاشم فهو لكم**»، وقال المهاجرون والأنصار: أما ما كان لنا فهو لرسول الله عليه السلام وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في قومهما أن يردوا عليهما شيئاً مما وقع لهم في سهامهم. وامتنع العباس بن مرداس السلمي وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأقرع بن حابس وعيينة قومهما فأبت بنو سليم وقالوا: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله عليه السلام: «**من ضن منكم بما في يديه فإنا نعوضه منه**».

فرد عليهم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وعوض من لم تطب نفسه بترك نصيبه أعواضاً رضوا بها. وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشيماء أخت النبي عليه السلام من الرضاعة، وهي بنت الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر بن هوازن بنت حليمة السعدية، فأكرمها رسول الله ﷺ وأعطاها، ورجعت إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أفاء الله عليها.

وقسم رسول الله ﷺ الأموال بين المسلمين. وأعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس أو من جملة الغنيمة على مذهب من رأى أن ذلك إلى اجتهاد الإمام، وأن له أن ينفل في البدأة والرجعة حسب ما رآه بظاهر قول الله تعالى: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] يحكم فيها بما أراه الله. وليس ذلك لغيره ﷺ بظاهر قوله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وللقول في تلخيص

ذلك مواضع غير هذا.

أعطيات المؤلفة قلوبهم

ولم يختلف أهل السير وغيرهم أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم، ولا ذكر للمؤلفة قلوبهم في غير آية[١] قسم الصدقات. قالوا: أعطى قريشاً مائة بعير مائة بعير، وكذلك أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس.

قال ابن إسحاق[٢]: أعطاهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم وكانوا أشرافاً، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، وكذلك أعطى مالك ابن عوف والعلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة. قال: فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى رجالاً من قريش دون المائة، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو العامري لا أعرف ما أعطاهم وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيراً، وأعطى عباس بن مرداس السلمي أباعر قليلة، فتسخطها وقال في ذلك:

كانت نهابا تلافيتها ... بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبـ ... ـيدِ بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تُدْرإ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله ﷺ: «**اذهبوا فاقطعوا عني لسانه**»، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه. وقيل: إن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ بعد ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت القائل: فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة**» فقال أبو بكر الصديق:

---

(١) يريد قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠].

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ١٦٩).

بين عيينة والأقرع. فقال رسول الله ﷺ: «**هما واحد**». وقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله عز وجل: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[١][يس: ٦٩].

قال أبو عمر: لو كان ما أعطي رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين من خمس الخمس كما زعم من زعم ذلك أو من الخمس الذي قال فيه ﷺ: «**ما لي من غنائمكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم**» ما شق ذلك والله أعلم على الأنصار، حتى قالوا ما هو محفوظ عنهم. وقد كتبت ذلك فيما بعد. ولكنه ﷺ علم من إيمانهم وكرمهم أنهم سيرضون بفعله؛ لأن حرصهم على ظهور الدين من حرصه رضي الله عنهم.

تسمية المؤلفة قلوبهم

من بني أمية: أبو سفيان بن حرب بن أمية، وابنه معاوية، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد بن أبي العِيص بن أمية.

ومن بني عبد الدار بن قصي: شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بعكك، وعكرمة بن عامر بن هاشم.

ومن بني مخزوم: زهير بن أبي أمية، والحارث بن هشام، وأخوه خالد بن هشام، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد، والسائب بن أبي السائب.

ومن بني عدي بن كعب: مطيع بن الأسود، وأبو جهم بن حذيفة.

ومن بني جمح: صفوان بن أمية بن خلف، وأخوه أحيحة بن أمية، وعمير بن وهب ابن خلف.

ومن بني سهم: عدي بن قيس بن حذافة.

ومن بني عامر بن لؤي: حويطب بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة.

ومن سائر قبائل العرب: من بني الديل بن بكر بن عبد مناة: نوفل بن معاوية.

ومن بني قيس ثم من بني عامر بن صعصعة ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر: علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن صعصعة: خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وأخوه حرملة بن هوذة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ١٧١)، والروض الأنف (٤ / ٢٧٠)، والبداية والنهاية (٤ / ٣٦٠).

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بني سليم بن منصور: عباس بن مرداس.

ومن غطفان ثم من فزارة: عيينة بن حصن.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس.

وقد ذكر في المؤلفة حكيم بن حزام والنضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة أخو النضر ابن الحارث المقتول ببدر صبراً. وذكر آخرون النضير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، فإن كان منهم فمحال أن يكون من المؤلفة قلوبهم. ومن هاجر إلى أرض الحبشة فهو من المهاجرين الأولين ممن رسخ الإيمان في قلبه، وقاتل دونه، ليس ممن يؤلف عليه.

وعند إعطاء رسول الله ﷺ ما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار ولا المهاجرين قال ذو الخويصرة التميمي: قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم يا محمد! فقال له رسول الله ﷺ: «**أجل، فكيف رأيت؟**» قال: لم أرك عدلت. فغضب النبي عليه السلام، وقال: «**ويحك إن لم يكن العدل مني فعند من يكون؟**» فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، فقال: «**لا، دعوه، سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية**».

موقف بعض الأنصار

قال ابن إسحاق[1]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ تلك العطايا في قريش وقبائل العرب. ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم بما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت قوماً من العرب عطايا عظاماً، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**»، قال: فخرج سعد فجمع من الأنصار في تلك الحظيرة، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ١٧٦).

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله وعالةً فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟**» قالوا: بلى لله ورسوله المن والفضل. ثم قال: «**ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟**» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل. فقال: «**أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مُكَذَّبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة**[1] **من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إيمانكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**». قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً فانصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

وروي أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وتركت جعيل بن سراقة الضمري ؟ فقال رسول الله: «**والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض مثل الأقرع وعيينة ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيلاً إلى إسلامه**».

وكان هذا القسم بالجعرانة. وروي أبو الزبير وغيره عن جابر، قال: بصرت عيناي رسول الله ﷺ بالجعرانة، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض ويعطي الناس.

---

(١) اللعاعة: بقل أخضر ناعم شبه به متاع الدنيا؛ لإنه قليل لا يدوم.

عمرة رسول الله من الجعرانة

ثم خرج رسول الله ﷺ معتمراً من الجعرانة إلى مكة، وأمر ببقايا الفيء فخمس بناحية مر الظهران. فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف إلى المدينة، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص، وهو ابن نيف وعشرين سنة.

ودخل رسول الله ﷺ المدينة لست بقين من ذي القعدة. وكانت وقعة الطائف في ذي القعدة المؤرخ من السنة الثامنة من الهجرة. وكانت غيبة رسول الله ﷺ منذ خرج من المدينة إلى مكة، فافتتحها وأوقع بهوازن وحارب الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوماً.

واستعمل رسول الله ﷺ مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع النصري على من أسلم من قومه من قبائل قيس. وأمره بمغاورة[1] ثقيف، ففعل، وضيق عليهم. وحسن إسلامه وإسلام المؤلفة قلوبهم حاشا عيينة بن حصن، فلم يزل مغمورا عليه.

وسائر المؤلفة قلوبهم منهم الخير الفاضل المجمع على خيره كالحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، ومنهم دون هؤلاء وقد فضل الله النبيين وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض، وهو أعلم بهم.

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا وأقام الحج للناس عتاب بن أسيد في تلك السنة، وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام، وحج المشركون على مشاعرهم، وكان عتاب بن أسيد خيراً فاضلا ورعاً.

وقدم كعب بن زهير بن أبي سلمى على رسول الله ﷺ مسلما وامتدحه، وقام على رأسه بقصيدته التي أولها: ب«انت سعاد فقلبي اليوم متبول». وأنشدها إلى آخرها، وذكر فيها المهاجرين فأثنى عليهم. وكان قبل ذلك حفظ له هجاء في النبي عليه السلام، فعاب عليه الأنصار إذ لم يذكرهم، فغدا على النبي عليه السلام بقصيدة يمدح فيها الأنصار وقبل النبي عليه السلام إسلامه وسمع شعره وأثابه.

---

(١) مغاورة: يقصد الإغارة عليها تلو الإغارة.

غزوة تبوك

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد انصرافه من حصار الطائف ذا الحجة والمحرم وصفراً وربيعا الأول وربيعا الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة. وخرج في رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم، وهي آخر غزاة غزاها ﷺ بنفسه. وكان خروجه إلى غزوته تلك في حر شديد وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب.

وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج غازياً إلا ورى بغيره إلا غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد المسافة ونفقة المال والشقة وقوة العدو المقصود إليه. فتأخر الجد بن قيس من بني سَلِمة، وكان متهماً بالنفاق فاستأذن رسول الله ﷺ في البقاء وهو غني قوي فأذن له، وأعرض عنه، فنزلت فيه: ﴿ ومنهم مَن يقولُ ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإنَ جهنم لمحيطةٌ بالكافرين ﴾[التوبة:٤٩] . وكان نفر من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي عند جاسوم يثبطون الناس عن الغزو، فبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر، وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت، ففعل ذلك طلحة، فاقتحم الضحاك بن خليفة، وكان معهم في البيت جدار الدار، فوقع، فانكسرت رجله. وفر ابن أبيرق وكان معهم.

وأنفق ناس من المسلمين واحتسبوا، وأنفق عثمان ﷺ نفقة عظيمة جهز بها جماعة من المعسرين في تلك الغزوة. وروي أنه حمل في تلك الغزاة على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهزهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا شكالا[1]، وروي أنه أنفق فيها ألف دينار.

وفي هذه الغزوة أتى رسول الله ﷺ البكاؤون وهم سبعة: سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام من بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني وقيل: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري. فاستحملوا رسول الله ﷺ، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون. فسموا البكائين. وذكروا أن ابن يامين بن عمير النضري حمل أبا ليلى وعبد الله بن مغفل على ناضح له يعتقبانه، وزودهما تمراً كثيراً. واعتذر المخلفون من الأعراب، فعذرهم رسول الله عليه السلام.

وخرج رسول الله ﷺ، وضرب عسكره على باب المدينة، واستعمل عليها محمد بن

---

(١) شكال الدابة: ما تشد به قوائمها، عقال البعير: ما يشد به ذراعه مع وظيفه عند بروكه.

مسلمة، وقيل: بل سباع بن عرفطة، وقيل: بل خلف عليها علي بن أبي طالب ﷺ وهو الأثبت: أن رسول الله خلف عليا في غزوة تبوك، فقال المنافقون: استثقله، فذكر ذلك علي رضوان الله عليه لرسول الله ﷺ في خبر سعد، فقال: «**كذبوا، إنما خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**». والآثار بذلك متواترة صحاح قد ذكرت كثيراً منها في غير هذا الموضع.

وخرج عبد الله بن أبي بن سلول بعسكره، فضربه على باب المدينة أيضاً، فكان عسكره فيما زعموا ليس بأقل العسكرين، وهو يظهر الغزاة مع رسول الله ﷺ، فلما نهض رسول الله ﷺ تخلف عبد الله بن أبي بن سلول فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، خلفهم سوء نياتهم ونفاقهم.

وتخلف في هذه الغزاة من صالحي المسلمين ثلاثة رجال، وهم: كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة، ومرارة بن ربيعة ويقال: ابن الربيع من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية الواقفي. فافتقدهم رسول الله ﷺ بعد يوم أو يومين، فقيل له: تخلفوا. فعجب من ذلك، وعز عليه؛ لأنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم.

ونهض ﷺ، فخطر على حجر ثمود، فأمر أصحابه أن لا يتوضؤوا من بئر ثمود، ولا يعجنوا خبزاً بمائها، ولا يستعملوا شيئاً منه، فقيل له: بأن قوماً عجنوا منه، فأمر بالعجين، فطرح للإبل علفاً. وأمرهم أن لا يستعملوا ماء بئر الناقة في كل ما يحتاجون إليه. وأمر أصحابه عليه السلام بأن لا يدخلوا بيوت ثمود، وقال: «**لا تدخلوا بيوت هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»(١). ونهاهم أن يخرج أحدهم منفرداً، فخرج رجلان من بني ساعدة، كل واحد منهما منفرد عن صاحبه، أحدهما يريد الغائط فخنق، فأخبر النبي عليه السلام، فدعا له، فشفي والآخر خرج في طلب بعير له فأخذته الريح ورمته في جبل طيئ، فردته طيئ بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ. وعطش الناس في تلك الغزاة عطشاً شديداً، فدعا رسول الله ﷺ ربه فأرسل عليهم سحابة ارتووا منها ورووا بها وإبلهم، وأخذوا حاجتهم من الماء.

وأضل ﷺ ناقته، وقال من في قلبه نفاق: محمد يدعي أن خبر السماء يأتيه ولا يدري أين ناقته، فنزل الوحي بما قال هذا القائل على رسول الله ﷺ. فدعا أصحابه،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٢٢٥)، والبخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠ / ٣٨)، وابن حبان (٦٢٠٠).

فأخبرهم بقول القائل، وأخبرهم أن الله عز وجل قد عرفه بموضع ناقته، وأنها في موضع كذا قد تعلق خطامها بشجرة، فابتدروا المكان الذي وصف عليه السلام، فوجدوها هنالك. وقيل: إن قائل ذلك القول زيد بن اللصيت القينقاعي وكان منافقاً، وقيل: إنه تاب بعد ذلك، وقيل: لم يتب، والله أعلم[١].

وفي هذه الغزاة ذكروا أن رسول الله ﷺ رأى أبا ذر يمشي في ناحية العسكر وحده، فقال: «**يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**». فكان كما قال ﷺ مات بالربذة وحده، وأخرج بعد أن كفن إلى الطريق يلتمس من يصلي عليه، فصادف إقبال ابن مسعود من الكوفة فصلى عليه، وكان ممن سمع هذا الحديث، فحدث به يومئذ أيضاً[٢].

ونزل القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب بفضيحة المنافقين الذين كانوا يخذلون المسلمين، وتاب من أولئك مخَشن بن حُمَيِّر، ودعا الله أن يكفر عنه بشهادة يخفي بها مكانه، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر[٣].

بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دُومة[٤]

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة، وقال له: «**يا خالد إنك ستجده يصيد البقر**». فأتاه خالد ليلاً وقرب من حصنه وأرسل الله تعالى بقر الوحش فأتت تحك حائط القصر بقرونها، فنشط أكيدر ليصيدها. وخرج في الليل، فأخذه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنه النبي عليه السلام، ورده إلى حصنه بعد أن صالحه على الجزية. وصالح يحنة بن رؤبة صاحب أيلة على الجزية.

العودة من تبوك

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة، ولم يتجاوزها، ثم انصرف وكان في طريقه ماء قليل، فنهى أن يسبق أحد إلى الماء، فسبق إليه رجلان، فاستنفدا ما فيه،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ٢٠٢)، وتاريخ الطبري (٢ / ١٨٤)، وعيون الأثر (٢ / ٢٩٢)، والبداية والنهاية (٥ / ٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ٢٠٣)، وتاريخ الطبري (٢ / ١٨٤)، وأخرجه الحاكم (٣ / ٥٢)، والبيهقي في الدلائل (٥ / ٢٢١)، والبداية والنهاية (٥ / ٨،٩).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ٢٠٥).

(٤) دومة: هي دومة الجندل على عشر مراحل من المدينة جهة الشام، وقد افتتحت في سنة تسع من الهجرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه.

فسبهما[١] رسول الله ﷺ، وقال ما شاء الله أن يقول. ثم وضع يده في الماء ودعا الله فيه بالبركة، فجاشت العين بماء عظيم كفى الجيش كله. وأخبر عليه السلام أن ذلك الموضع سيملأ جناناً. فكان كذلك[٢]. وبنى رسول الله ﷺ بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجداً، أولها مسجد بناه بتبوك وآخرها بذي خُشُب.

مسجد الضرار

وكان أهل مسجد الضرار قد أتوه وهو متجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العيلة[٣] والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه، فقال لهم: «**أنا في شغل السفر، وإذا انصرفت فسيكون**» فلما انصرف رسول الله ﷺ أمر في منصرفه بهدم مسجد الضرار: أمر بذلك مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعاصم بن عدي أخاه وأمر بإحراقه، وقال لهم: «**اخرجوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه وأحرقوه**»، فخرجوا مسرعين. وأخرج مالك بن الدخشم من منزله شعلة من نار. ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه: خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الضرار، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر وابناه: مجمع وزيد ابنا جارية، ونبتل بن الحارث من بني ضبيعة، وبحزج وهو من بني ضبيعة، وبجاد بن عثمان من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت من بني أمية بن زيد. وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم، وفيه نظر؛ لأنه قد شهد بدراً.

ومات عبد الله ذو البجادين المزني في غزوة تبوك، فتولى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر غسله ودفنه، ونزل رسول الله ﷺ في قبره، وقال: «**اللهم إني راض عنه، فارض عنه**»[٤].

---

(١) سبهما: يعني وبخهما.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ٢٠٨).

(٣) العيلة: الفقر، وفي ابن هشام: العلة.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٥ / ٢٠٩)، وانظر الطبراني في الأوسط (٩١١١)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٢٢)، وعيون الأثر (٢ / ٢٩٧)، والبداية والنهاية (٥ / ١٨).

حديث كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين[١]

وأما اختصار حديث كعب بن مالك وأصحابه الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لغير ريبة في الدين ولا تهمة نفاق إلا ما كان من علم الله في إظهار حالهم والزيادة في فضلهم، رويناه من طرق صحيحة لا أحصيها كثرة عن ابن شهاب، وخرجه المصنفون وأصحاب المساند. ذكره ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه حدثه، قال: سمعت أبي كعب بن مالك، قال، فذكر الحديث، وفيه قال كعب بن مالك:

فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك ثاب إليَّ لبي وعلمت أني قد فعلت ما لم يرض الله ورسوله في تخلفي عنه. فقلت: أكذبه، وتذكرت ما يكون الكذب الذي أخرج به من ذلك، فلم يتجه لي. فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعلمت أني لا أنجو منه إلا بالصدق. فلما صبح رسول الله ﷺ المدينة نزل بالمسجد، فصلى ركعتين. ثم جلس فجاء المتخلفون، فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله. وجئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب، وقال لي: «**ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟**» فقلت: والله يا رسول الله لو جلست بين يدي غيرك لرجوت أن أقيم عنده عذري؛ لأني أعطيت جدلاً ولكن قد علمت أني إن كذبتك اليوم أطلعك الله عليه غداً، ففضحت نفسي. فوالله ما كان لي عذر في التخلف عنك، وما كنت قط أقوى مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدقكم، فقم حتى يقضي الله فيك**»، فقمت ومعي رجال من قومي: بني سلمة يقولون: ما علمناك أتيت قط غير هذا الذنب، أفلا اعتذرت إليه فيسعك ما وسع المتخلفين ؟ وكان يكفيك استغفار رسول الله ﷺ حتى هممت أن أنصرف إلى رسول الله فأكذب نفسي ثم قلت: هل لقي مثل هذا أحد غيري ؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل مقالك، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت: من هما ؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العمري وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أسوة، فصمت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة فاجتنبنا

---

(١) حديث كعب وصاحبيه رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩ / ٥٣)، والنسائي (٣٨٢٣).

الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي نفسي والأرض التي أنا فيها. فأما صاحباي فقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه ولا أسمعه يرد علي، فأقول: ليت شعري هل رد في نفسه. وكنت أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما زاد على السلام، فقلت: يا أبا قتادة نشدتك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فناشدته ثانية، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي فعدت فوثبت فتسورت الجدار، وخرجت. ثم غدوت إلى السوق فإذا رجل يسأل عني من نبط الشام القادمين بالطعام إلى المدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فجعل الناس يشيرون له إلي فجاءني، فدفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأته: وهذا من البلاء أيضا أن يطمع في رجل من أهل الشرك، فعمدت إلى تنور، فسجرت فيه الكتاب. وأقمت حالي حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسول رسول الله أتاني، فقال لي: رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا ؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني فيهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض، وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه ؟ قال: «**لا ولكن لا يقربنك**»، قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إلي، وما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومي هذا حتى تخوفت على بصره. وقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في خدمة امرأتك فقد أذن لهلال بن أمية ؟ فقلت: والله لا أفعل، إني لا أدري ما يقول لي وأنا رجل شاب.

قال: فلبثنا في ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن الكلام معنا. فلما صليت الصبح صبح خمسين ليلة وأنا قد ضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي، فأنا كذلك إذ سمعت صوت صارخ قد وافى على ظهر سلع ينادي بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت لله ساجداً، وعلمت أنه قد جاء الفرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا. وركض رجل إلي فرساً وسعى ساع من أسلم حتى وافى على الجبل، وكان

الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما إياه، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة، ويقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس، حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله، فحياني وهنأني، ووالله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لي ووجهه يبرق من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»، قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال: «**لا بل من عند الله**». قال: وكان رسول الله إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، قلت: إني ممسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله إن الله قد أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. وكان ما نزل في شأني من القرآن قوله تعالى جل ذكره: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾[التوبة:١١٨] إلى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[التوبة:١١٩].